المصـــــدر : الاقتصادية
التـــاريخ : 09-08-2006 العـــدد : 4685
الصفحـات : 28 المسلسل : 167

FINANCIAL TIMES

ردا على بوش ورايس بخصوص الشرق الأوسط

الجذور المهملة للصراع مدفونة تحت أرض قابلة للاشتعال

المصـــــدر : الاقتصادية
التـــاريخ : 09-08-2006 العـــدد : 4685
الصفحـات : 28 المسلسل : 167

دافيد جاردنر

الرئيس جورج دابليو بوش، ووزيرة خارجيته كوندوليزا رايس، يبرران مراراً عدم رغبتهما في المطالبة بوقف إطلاق نار في لبنان، خلال الأسابيع الثلاثة الماضية، بالحاجة إلى التصدي لما يواصلان وصفها بـ"جذور المشكلة".

دعونا نصدق ما يقولان، إن نزيل الغبار ونتبش الأرض لنتفحص تلك الجذور بعناية.

ما سيظهر هو أن أمريكا وحلفاءها في الشرق الأوسط أظهروا مقدرة متلاشية "صفرية" باستمرار، على إدراك الأسباب الجذرية للصراع في المنطقة، ناهيك عن الرغبة أو القدرة على التعامل معها.

يجب التركيز أولاً، كما قال برنت سكاوكروفت، مستشار الأمن القومي للرئيس بوش الأب، في صحيفة واشنطن بوست، إن "حزب الله ليس مصدر المشكلة، بل هو مشتق من السبب، الذي يتمثل في الصراع المأساوي حول فلسطين، الذي بدأ 1948".

كان حزب الله، في حقيقة الأمر، قد قفز نتيجة اجتياح إسرائيل للبنان في 1982، وكان يرمي إلى تدمير منظمة التحرير الفلسطينية، وكانت القابلتان القانونيتان له إيران وسورية - فقد ولد حزب الله في السفارة الإيرانية في دمشق - لكن الأبوين كانا إسرائيل وأمريكا، التي أحجمت، أي الأخيرة، عن كبح حليفتها إلى أن مسحت بيروت الغربية عن الأرض تقريباً.

وفشلت المحاولات المتكررة من إسرائيل، بعدئذ، لسحق حزب الله، وبدلاً من ذلك، فإن الهجوم الحالي بالكاد أضر بالقدرة العملياتية للحركة الشيعية الإسلامية، بل أدى إلى رفعه إلى ذروة هيبته، في لبنان والعالم العربي، ويشكل إعجازي، بين المسلمين السنة الذين يعتبرون الشيعة "رافضة" وعملاء لإيران.

حزب الله منظمة بنت فيه الحياة نتيجة صراع لم يحل، مثلما هو حال حماس وحلفائها المقاتلين على الجبهة الأخرى لإسرائيل. والسبب الجذري لذلك الصراع هو الأرض؛ وبشكل أساسي، المعركة بين العرب واليهود حول كيفية المشاركة (إن كان المشاركة ستتم) في الأرض المقدسة المكتظة والقابلة للاشتعال.

إن الفشل السياسي والدبلوماسي في السعي إلى حل، وتطبيق قرار حول هذا الصراع، تخل مذهل عن المسؤولية، ولا سيما إزاء الأجيال المستقبلية التي سوف تضطر إلى التعامل باستمرار مع المحاولات الشريرة لتسويته مرة واحدة وإلى الأبد. لكنه لا يوجد أي ليس بما يجب أن تكون عليه مخططات مثل هذه التسوية.

ويكمن الحل في الحدود التي وضعها الرئيس بيل كلينتون وفي أكثر من دزينتين من المحادثات بين الفلسطينيين والإسرائيليين في طابا، في مصر، بعد انهيار مفاوضات كامب دافيد 2000، وفي اتفاق جنيف اللاحق، ولكن غير الرسمي، الذي استند إليها، وفي تبني الأمور الأساسية التي طرحتها الجامعة العربية في بيروت 2002.

إن المبادرة المثيرة جداً حالياً والتي تسمى بمبادرة بيروت للسلام (مبادرة الأمير عبد الله حينها - الملك حالياً .التي تحولت لاحقاً إلى المبادرة العربية - التي تدعو إلى إنهاء الصراع العربي الإسرائيلي، مع اعتراف كامل- وعلاقات- مع إسرائيل مقابل الانسحاب الإسرائيلي من جميع الأراضي المحتلة في حزيران (يونيو) 1967.

فوق كل ذلك، إنشاء دولة فلسطينية على كل الضفة الغربية وغزة المحتلتين، وكون القدس العربية الشرقية عاصمة لها، وما تدعو خطة السلام العربية إليه هو حل "عادل" يعني في النهاية، تعويض معظم اللاجئين الفلسطينيين وليس حق العودة.

ولم تتم تجربة هذه الصيغة لإنهاء الصراع الذي يكمن في صميم عدم الاستقرار المزمن في الشرق الأوسط، فاتفاقيات أوسلو- 1993- 1995- أشارت بتردده ولكن بأمل، في ذلك الاتجاه، لكن الصيغة انتهى مفعولها قبل وقت طويل من الإعلان عن موتها، وقتلها، في الأساس، اعتقاد إسرائيل أنها تستطيع بناء المستوطنات على الأرض العربية، دون أي ردة فعل من قبل الفلسطينيين.

وعلاوة على ذلك، فإن أكبر توسع لهذه المستوطنات غير القانونية حدث خلال ذروة عملية السلام، ففي عهد الحكومات العمالية في 1992- 1996، برئاسة إسحق رابين وشمعون بيريز، زاد عدد المستوطنين في الضفة الغربية بنسبة 50 في المائة، أي أربعة أضعاف الزيادة السكانية داخل إسرائيل نفسها.

وتم تطويق القدس الشرقية بأربعة تكتلات كبيرة من المستوطنات، مع ادعاء كل حكومة منذ أوسلو إقامة متراس بالجدار، وساعدت القيود على الإسكان والتطويق داخل المدينة على ضمان أغلبية يهودية، وكما تبجح أريل شارون عراب الاستيطان والزعيم المريض حالياً، أقمنا في القدس حقائق لم يعد بالإمكان تغييرها.

وشرير أوسلو الآخر بطبيعة الحال، هو ياسر عرفات الذي كان متلهفاً جداً لأن يمارس كزعيم منظمة التحرير الفلسطينية زخارف وطقوس الدولة، والذي كان عاجزاً جداً إزاء إدارة شؤون الدولة، حتى أن أسلوب إسرائيل الرئيسي خلال مفاوضات أوسلو، كما قال أحد المشاركين الإسرائيليين، كان يتمثل في عزله، ونتيجة لذلك شعر عرفات بالتحايل عليه، ما دفعه إلى الحفاظ

المصـــــدر : الاقتصادية
التـــاريخ : 09-08-2006 العـــدد : 4685
الصفحـات : 28 المسلسل : 167

على خيار الكفاح المسلح، قائماً على نحو يثير المخاطر.

إن القادة العرب، سواء ممن هم في سلام رسمي مع إسرائيل مثل مصر والأردن، أو ليسوا كذلك، يفضلون ذلك الوضع المتمثل "لا حرب ولا سلام"، فهو يبرر الصلاحيات التي يمارسون بموجبها الحكم المطلق واحتكار الموارد.

وفي الوقت ذاته، فإن أمريكا، وهي القوة الوحيدة التي تملك التأثير لإنهاء هذه الورطة، أحجمت بشدة عن فعل ذلك، فقبل عقد من السنوات، وفي التحذير من أن توسيع المستوطنات سيقتل السلام، قال وزير الخارجية الأسبق جيمس بيكر: لقد انتقلنا من وصف المستوطنات بالالا قانونية في عهد كارتر، إلى وصفها بأنها عقبة في طريق السلام في عهدي ريجان وجورج بوش الأب، والآن، في عهد الرئيس كلينتون، نقول إنها تسبب التعقيد والإزعاج.

ذهب الرئيس بوش الحالي شوطاً أبعد، حين سمح بإعادة استيلاء شارون في 2002 على الأرض الفلسطينية، وساند ما يسمى بالحائط الأمني داخل الضفة الغربية. وتبنى في 2004 هدف إسرائيل بضم حائط المستوطنات الذي ينفصل القدس الشرقية عن محيطها، وكل شيء جاهز حالياً لإيهود أولمرت، رئيس الوزراء الحالي، لوضع حدود إسرائيل حيث قرر شارون أن تكون على خريطة رسمها في 1982. وتتمثل الفكرة في الإبقاء على الجغرافيا دون السكان، تاركاً للفلسطينيين نحو عشر فلسطين (الطبيعية)، في ثلاثة بانتوستانات "معازل" غير متواصلة.

ولم يكن ذلك لينجح قط ورغم أنها لم تجرب حالياً، ولن يقبل بها أي عربي أو مسلم، تكن كثيراً من الإسرائيليين لم يعودوا يفعلون ذلك، وهم يبررون ذلك بأنهم يتعرضون للهجوم من الأرض التي تركتها إسرائيل، فإن ذلك يعني أن هذا الصراع لم يعد حول الأرض بل حول وجودهم، فحماس وحزب الله يريدان تدميرنا.

ربما، لكن من المؤكد أن ما أعطى هاتين المنظمتين القوة والمكانة خارج أتباعهما الطبيعيين، هو كتيب الفشل في الشرق الأوسط، وهو الفشل في السعي بصدق إلى تحقيق تسوية شاملة تستند إلى الأرض مقابل السلام.